

changer la nature du système politique, c'est-à-dire passer du système de monopole du pouvoir à une société plus ouverte et à un système de groupes politiques.

De nombreuses réformes politiques sont donc entreprises à partir de 1989, date qui a marqué le début d'une volonté politique d'opter pour une large ouverture au demeurant progressive. Faut-il cependant rappeler que cette étape a été et jusqu'à l'an 2000 ponctuée par des événements sanglants qui ont à leur tour appelé à une nouvelle vague de réformes politiques touchant en profondeur aux structures étatiques.

La stratégie de ces réformes mise en place comportait un ensemble d'objectifs à savoir, la réforme de la justice en vue d'instituer l'état de droit ; la poursuite de la réforme des structures de l'État engagée en 1989, perturbée quelque peu par la décennie noire ; le développement d'un partenariat entre l'Etat et, le secteur privé et la société civile allant dans le sens d'une bonne gouvernance ; la réforme du droit de la famille ; la réforme du système éducatif et l'approfondissement des réformes économiques et financières.

Mais En Avril 2011 le Président Abdelaziz Bouteflika annonce, dans son discours devenu célèbre depuis, une autre série de réformes politiques décrites comme modifiant certains textes législatifs relatifs à la pratique de la démocratie et le renforcement de l'état de droit.

Notons que ces amendements incluent le secteur des médias, la loi sur les partis

الإصلاح السياسي في الجزائر (الأبعاد والدلالات)

La réforme politique en Algérie :

- Le sens et la dimension -

أ.د. سنوسي خنيش

كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة الجلفة

-

أ. زيغم عبد القادر

طالب دكتوراه علوم سياسية
جامعة الجلفة

Abstract (باللغة الأجنبية)

La caractéristique la plus importante du système politique algérien est la complexité des nombreuses phases qu'il a connues depuis l'indépendance ; et c'est ceci qui a fortement contribué à mettre en évidence sa nature ainsi que les facteurs environnementaux dans lesquels a évolué le citoyen algérien.

La conséquence a été l'apparition de nombreuses contradictions d'ordre intellectuel et politique. D'où la nécessité pour Le pouvoir en place d'aller vers une transition démocratique dont le cadre institutionnel devait viser à

politique qui a sans doute rapport à la crise que vit le pays du fait que ces deux éléments sont incontestablement indissociables.

Il y a aussi l'absence d'intégration politique, le pluralisme politique de pure forme, les élections pour le renouvellement de la légalité du pouvoir, les phénomènes de la bureaucratie et de la corruption, la rente pétrolière...

Enfin et au titre de l'évaluation du processus de ces réformes politiques, l'on peut avancer que si l'expérience de ces réformes a été confrontée à d'éminents problèmes c'est à cause essentiellement de facteurs objectifs et historiques qui ont pesé de tout leur poids dans le cours du développement en général.

On citera néanmoins le rôle déterminant qu'a joué l'Etat colonial dans le sous-développement politique, économique, social et culturel en Algérie.

Pour ces raisons il est impératif d'accorder la priorité à la construction d'une génération ouverte et mature politiquement et socialement, consciente de sa réalité sociale et capable de réagir positivement aux différentes transformations que connaît ou doit connaître le pays à l'avenir, et efficace dans l'exercice démocratique.

Keywords: *system politique Algerien, reform politique, elections*

ملخص (باللغة العربية)

إذا كان دستور 1989 قد تبنى العديد من أحكام دستور 1976 ذات الطابع القانوني التنظيمي

politiques, le système électoral, la représentation des femmes dans les instances élues et les cas d'incompatibilité avec un mandat parlementaire, enfin les associations issues de la société civile. Il fallait donc comme prérequis, que le processus de réforme choisi s'inspirât des expériences des divers amendements constitutionnels connus dans le pays depuis 1962.

Pour ce faire, le processus de réforme politique s'est appuyé sur l'élaboration d'une stratégie nationale dépassant certaines contingences politiques comme la culture tribaliste, la culture régionaliste, la culture ethnique et la religion ..., dans le but d'instaurer une culture politique démocratique permettant la participation et la contribution des différents groupes sociaux, des partis politiques, de la société civile, des intellectuels, des universitaires et des centres de recherches.

Si ces réformes n'ont pu produire à ce jour leurs effets, c'est à cause des nombreux défis face auxquels elles étaient confrontées, à savoir: des défis d'ordre politique social économique et culturel.

D'autres facteurs peuvent venir également expliquer la non-atteinte des objectifs, en l'occurrence les risques liés à ces réformes politiques, comme le changement en faveur de groupes donnés fonctionnant avec des valeurs données au détriment d'autres groupes régis par ailleurs par d'autres valeurs autrement différentes.

Ceci, en sus des obstacles que rencontre la réforme démocratique comme le discours

الكلمات المفتاحية : النظام السياسي الجزائري، الإصلاح السياسي، الانتخابات

مقدمة

من أهم ما يميز النظام السياسي الجزائري هو تشابك العديد من المراحل منذ الاستقلال، ساهمت في تبيان طبيعة وتبيان العوامل البيئية السياسية التي يعيش فيها المواطن الجزائري نتجت عنها تناقضات فكرية وسياسية¹. فأثناء الثورة انحصرت المهمة السياسية لجهة التحرير الوطني F.L.N في تحرير البلاد واستعادة الشعب الجزائري لشخصيته العربية الإسلامية، ولذا لم تكن هناك الأولوية لوضع سياسة واضحة للبلاد بعد الاستقلال. فعلى الرغم من الاتفاق على إقامة دولة جزائرية ديمقراطية واجتماعية ذات سيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية إلا أن الجميع كان مقتنعا بأن جبهة التحرير، ثم حزب جبهة التحرير فيما بعد، هو القائد للثورة وله الأولوية² في ظل الأحادية الحزبية على اعتبار أن البيروقراطية الإدارية والاقتصادية تشكل خطرا كبيرا على المسار الاشتراكي³. ورغم ذلك لم يستطع أن يفرض سيطرته بدليل أنه مع بداية السنوات الأولى للاستقلال، والانفراد بالسلطة، برزت حركات معارضة كحزب جبهة القوى الاشتراكية، وأخرى مسلحة والتي تم القضاء عليها بواسطة الجيش. وفي هذا الصدد يقول الدكتور "سعيد بوشعير": "...والذي

من دون الأخذ بالاتجاه الإيديولوجي الاشتراكي، خصوصا في مجال تنظيم السلطات السياسية، فإن أهم المصادر التي شكلت مضمون دستور 1989 قد تمثلت في الشرعية الدستورية بدلا من الشرعية الثورية والفصل بين السلطات، والاهتمام (ولو نظريا) بالإسلام. وهذا ما نجده أيضا في نص تعديل دستور 1996. وهكذا يتبين أن الإطار المؤسسي الذي كان قد وضع لتنظيم مرحلة الانتقال إلى الديمقراطية، أي المرحلة التي كان يراد منها تغيير طبيعة النظام السياسي الجزائري من نظام محتكر للسلطة إلى نظام أكثر انفتاحا على المجتمع وعلى الجماعات السياسية المختلفة، لم يكن كافيا وقادرا على التصدي للانحرافات المحدقة والمضرة بالمجتمع الجزائري، ومراعاة لكل النقائص والثغرات جاء تعديل دستور 1989.

أما في ما يخص السلطة والنظام السياسي القائم، فإن التعديلات المقترحة التي تضمنها دستور 1996 لا تمس بأي شكل من الأشكال أساس الدستور نفسه، بل تهدف إلى تعزيز أسسه، وهو شرط ضروري من أجل إنجاح عملية تدعيم الديمقراطية والتعددية واستكمال البناء المؤسسي للدولة على أسس انتخابات ديمقراطية حرة ونزيهة. ومن أجل تحديد العلاقة بين الإدارة والسلطة السياسية جاءت الإصلاحات السياسية والقانونية والمؤسسية والاقتصادية في نهاية التسعينات بناء على مبدأ الديمقراطية الليبرالية وبالرجوع إلى القاعدة الشعبية ومشاركتها في صنع القرارات الإستراتيجية. لكن بقيت الإشكالية الأساسية تتمحور أساسا حول الكيفية التي من شأنها أن تُرجع النظام إلى حالة السلم والاستقرار والعودة إلى المصالحة الوطنية والعفو الشامل والتقليص من العزوف السياسي الناتج عن انغلاق النظام السياسي الضمني وأزمة الثقة بين الحاكم والمحكوم.

¹ - سنوسي خنيش، "النظام السياسي الجزائري بين الإصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي"، ملتقى الإصلاح السياسي في الجزائر، قسم العلوم السياسية كلية الحقوق والعلوم السياسية المنعقد بجامعة الجلفة، يومي 07/06 مارس 2013.

² - خميس حزام والي، إشكالية الشرعية في الأنظمة السياسية العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003، ص 136.

³ - خنيش، مرجع سابق.

إما الدعوة بالاهتمام بالأمازيغية كثقافة وطنية، وإما التنديد بالمظالم الاجتماعية كالمحسوبية واللامساواة، وإما التعبير عن التذمر من مشاكل التموين والبطالة³. وهذا ما أدى بالنظام السياسي سنة 1980 إلى تبني تعديلات للسياسة التنموية والانفتاح الاقتصادي من جهة، وتقليص الدور السياسي للجيش من جهة ثانية، الأمر الذي سمح إلى ترجيح كفة المدنيين على حساب المؤسسة العسكرية عكس المرحلة السابقة التي ظل فيها الجيش ركيزة للنظام السياسي. إلا أن هذا الاتجاه الجديد قد أدى إلى بروز تناقضات أخرى تمثلت في هيمنة الحزب بحكم القانون، وهذا ما يؤكد خطاب رئيس الجمهورية "الشاذلي بن جديد" في 10 أكتوبر 1988 والذي لم يذكر فيه الحزب إطلاقاً، وإنما ندد باحتكار السلطة⁴، وبالتالي فإن ضمان نجاح كل عملية نحو الانفتاح الاقتصادي لا يكون إلا بانفتاح سياسي لأن هناك ارتباطات وتشابكات بين البيئة السياسية والبيئة الاقتصادية. وستناول هاته الدراسة من خلال العناصر التالية:

- النظام السياسي في الجزائر و حتمية الانتقال

الديمقراطي

- الإصلاح السياسي في الجزائر منذ 1989
- عملية الإصلاح السياسي في الجزائر
- تحديات الإصلاح في الجزائر
- ترتيبات الإصلاح السياسية في الجزائر
- معوقات الإصلاح الديمقراطي في الجزائر

1. النظام السياسي في الجزائر و حتمية الانتقال الديمقراطي:

لا ينبغي تجاهله في هذا المجال هو أن الجيش هو المؤسسة الوحيدة المنظمة والقادرة على التأثير في صنع القرار السياسي بدليل الدور الحاسم الذي لعبه في القضاء على معارضي بن بلة...¹. إن ما يجب قوله في ذلك هو أن الجيش لم يكتف بالدور الطبيعي المنوط له بل ذهب إلى أن يتدخل في شؤون الحكم مما أثر سلباً على أجهزة الدولة وأدى إلى نوع من الغموض في علاقة الإدارة بالحزب، وتميزها بنوع من التحفظ تجاه الحزب، إذ وبعد الانقلاب العسكري أخذ مفهوم الدولة بعداً جديداً بالإعلان على بناء جهاز دولة قوي وفعال ومؤسسات عقلانية تستجيب لمطالب الشعب حيث اعتمد التأميم الواسع الذي مس البنوك الأجنبية والمناجم في عام 1967 والمحروقات في عام 1971 من أجل تعزيز سيادة الشعب وتوحيده وهذا ما كرسه ميثاق 1976 الذي أكد على الخيار الاشتراكي المؤسس على ملكية الدولة، التي هي أعلى أشكال الملكية الاجتماعية، كما جعل من المؤسسة الاشتراكية البنية الملائمة لما تقوم به الدولة في بناء الاشتراكية².

وبعد الانغلاق السياسي الذي ميز النظام السياسي الجزائري ونظراً لاتخاذ الإدارة كأداة وحيدة للتنمية ظهر أيضاً الانغلاق الإداري، مما أدى إلى بروز الأساليب البيروقراطية الهجينة المتمثلة في الآفات المكتيبة **Bureaupathologie** وبالتالي إلى التذمر الجماهيري الواسع الذي ظهر في أحداث 5 أكتوبر 1988. وفي هذا الصدد يقول الدكتور "محمد بلقاسم حسن بهلول": إن هذا الانفجار الشعبي العام أي ما جرى في أكتوبر 1988 قد سبقته احتجاجات شعبية بتيزي وزو وبجاية في ربيع 1980 وفي قسنطينة وسطيف في 1986 وكذا في وهران وفي ورقلة بالجنوب وبرج بوعريج، وغيرها من المدن، وذلك تحت شعار

¹ سعيد بو شعير، النظام السياسي الجزائري، الطبعة الثانية، عين مليلة: دار الهدى، 1993، ص 60

² الميثاق الوطني (1976)، ص 116.

³ محمد بلقاسم حسن بهلول، الجزائر بين الأزمة الاقتصادية والأزمة السياسية، الجزائر: مطبعة دحلب، 1993، ص 14.

⁴ سعيد بو شعير، النظام السياسي الجزائري. مرجع سابق، ص 178.

والتقليص من العزوف السياسي الناتج عن انغلاق النظام السياسي الضمني وأزمة الثقة بين الحاكم والمحكوم.

ورغم الإرهاصات للتحويلات نحو الاستقرار أولا والديمقراطية ثانيا، تظل المعضلة الجزائرية ممثلة في تناقضات منظومة الديمقراطية في بيئة سياسية تفتقر إلى بعض المقومات الأساسية للنضج المجتمعي والسياسي والوفاق الوطني حول أبجديات الهوية والتنظيم السياسي². فالجزائر تعاني من أزمة هوية ببعديها الجهوي والديني، الأول تمثل في مظاهر العنف المتكرر في منطقة القبائل من قبل الأقلية البربرية، بينما تمثل الثاني في الحركات الإسلامية والمسلحة والتي كان فوزها بأغلبية كبيرة ومباغثة في أول تجربة انتخابات تشريعية ومحلية تعددية في الجزائر عامي 1990 و1991، ورئاسة تعددية عام 1995، هاجسا بالنسبة لعملية الانتقال الديمقراطي في الجزائر.

وبغض النظر عن الأسباب أو النتائج الظاهرة من خلال الانتخابات التشريعية التي أجريت في 26 ديسمبر 1991، فإن ذلك لا يعني إلا شيئا واحدا هو مصادرة الرأي الشعبي، وهذا ما أدى إلى أزمة الثقة بين الحاكم والمحكوم، ومن ثمة إلى بروز العزوف السياسي وما يتبعه من انعكاسات سلبية على الإدارة، لأن ثقل الإدارة مرتبط دوما بالحياد. حيث أثبتت التجارب الميدانية أنه من الصعب تحييد الإدارة عن نظام الحكم السياسي القائم. فخطورة البيروقراطية الجزائرية ليست في طبيعة النصوص القانونية، وإنما تكمن في انحرافاتها الإنسانية فهي تكمن في أسلوب العمل والمركزية المتشددة، وانعدام الدراسات والاستشارات التي تحدد طرق العمل وأولوياته، ففهم البيئة السياسية التي تعمل وفقها الإدارة الجزائرية من خلال النصوص القانونية ونتائج الانتخابات

إذا كان دستور 1989 قد تبني العديد من أحكام دستور 1976 ذات الطابع القانوني التنظيمي من دون الأخذ بالاتجاه الإيديولوجي الاشتراكي، خصوصا في مجال تنظيم السلطات السياسية، فإن أهم المصادر التي شكلت مضمون دستور 1989 قد تمثلت في الشرعية الدستورية بدلا من الشرعية الثورية والفصل بين السلطات، والاهتمام (ولو نظريا) بالإسلام. وهذا ما نجده أيضا في نص تعديل دستور 1996. وهكذا يتبين أن الإطار المؤسسي الذي كان قد وضع لتنظيم مرحلة الانتقال إلى الديمقراطية، أي المرحلة التي كان يراد منها تغيير طبيعة النظام السياسي الجزائري من نظام محتكر للسلطة إلى نظام أكثر انفتاحا على المجتمع وعلى الجماعات السياسية المختلفة، لم يكن كافيا وقادرا على التصدي للانحرافات المحدقة والمضرة بالمجتمع الجزائري، ومراعاة لكل النقائص والثغرات جاء تعديل دستور 1989.

أما في ما يخص السلطة والنظام السياسي القائم، فإن التعديلات المقترحة التي تضمنها دستور 1996 لا تمس بأي شكل من الأشكال أساس الدستور نفسه، بل تهدف إلى تعزيز أسسه، وهو شرط ضروري من أجل إنجاح عملية تدعيم الديمقراطية والتعددية واستكمال البناء المؤسسي للدولة على أسس انتخابات ديمقراطية حرة ونزيهة¹. ومن أجل تحديد العلاقة بين الإدارة والسلطة السياسية جاءت الإصلاحات السياسية والقانونية والمؤسسية والاقتصادية في نهاية التسعينات بناء على مبدأ الديمقراطية الليبرالية وبالرجوع إلى القاعدة الشعبية ومشاركتها في صنع القرارات الإستراتيجية. لكن بقيت الإشكالية الأساسية تتمحور أساسا حول الكيفية التي من شأنها أن تُرجع النظام إلى حالة السلم والاستقرار والعودة إلى المصالحة الوطنية والعفو الشامل

² - أحمد منيسي "محررا"، التحول الديمقراطي في

دول المغرب العربي. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، 2004، ص 133.

¹ - خميس حزام والي، مرجع سابق، ص 146.

وفور تولي الرئيس السابق "ليامين زروال" الحكم بعد تدخل الجيش بصورة واضحة حينما أعلن بان تعيين رئيس الجمهورية من اختصاص المجلس الأعلى للأمن اعتمد الرئيس " ليمين زروال" الحوار مع كافة الجماعات السياسية دون استثناء ومع وصول سياسة الوفاق الوطني إلى أعلى مستوى لها، أعلن عن إجراء انتخابات رئاسية تعددية في 16 أكتوبر 1995 بهدف تجاوز الأزمة السياسية لكن اتسمت هذه الانتخابات بغياب مرشحي أهم الأحزاب السياسية والاكتفاء بمرشحي الأحزاب المنظمة آنذاك إلى المجلس الوطني الانتقالي.

بينما تميزت فترة حكم الرئيس الجزائري الحالي "عبد العزيز بوتفليقة" من بدايتها بطرح منهج جديد للخروج من أزمة الشرعية السياسية في الجزائر وأحداث العنف الدموية التي خلفت أكثر من مأتي ألف قتيل وخسائر مادية تتراوح ما بين 20 و25 مليار دولار، وفي هذا السياق قدم بوتفليقة مشروعاً للمصالحة الوطنية أكثر انفتاحاً على التيار الإسلامي بما في ذلك الجبهة الإسلامية للإنقاذ يقوم على العفو عن الإسلاميين والمتشددتين الذين تمردوا على النظام لكنهم لم يتورطوا في أحداث العنف أو الإرهاب^(*) و

(*) - الإرهاب: إطار أرحب أوسع من "الأصولية" - مع كل تحفظ مني- ويقصد به أي عمل عنيف يقوم به فرد أو جماعة أو دولة لتحقيق أهداف سياسية معينة بوسائل غير مشروعة وغير مألوفة، لإلحاق أضرار جسيمة بالخصم أو للإعلان عن المظالم التي لحقت بالمرسل. ويتضمن ذلك أعمال القتل وإلقاء القنابل والخطف واخذ الرهائن واختطاف الطائرات والاعتقالات. أما العنف السياسي فههدف إلى المساس بالنظام السياسي، أي معيار التفرقة بينه وبين الأنواع الأخرى من العنف هو اشتراك النظام السياسي كطرف فيه، ومدى الخطر الذي يتعرض له هذا النظام سواء كان هذا العنف موجه منه (أي النظام السياسي) أو موجه ضده أو ضد أحد رموزه أفراداً / أو جماعات. وبذلك فهو يعني الإستخدام الإنساني للقوة بغرض إرغام الغير وإخافته وإرعابه لتحقيق مكاسب سياسية وإقتصادية واجتماعية لها أبعاد وخلفيات سياسية لمصلحة

شيء، وفهم الإدارة من خلال الممارسة السياسية والنتائج في الميدان شيء آخر. فمن الناحية القانونية الشكلية وإلى غاية أول انتخابات برلمانية ومحلية تعددية النظام السياسي في الجزائر هو نظام جمهوري شبه رئاسي أو برلماني ديمقراطي شعبي، لكن من ناحية الممارسة فهو نظام سياسي متسلط غير شعبي... هذا إذا استثنينا الخلفية الفكرية والثقافية والفلسفية للفاعلين داخل النظام السياسي نفسه. وهنا نلاحظ أن في فترة حكم "محمد بوضياف" بين جانفي وجوان من عام 1992، لم يتمكن هذا الأخير من القيام بدور فعال و إيجابي حيث اقترح برنامجاً لإنقاذ الجزائر يقوم على إرساء نوع من الوفاق الوطني يضم معظم التيارات السياسية والمنظمات المهنية والنقابية باستثناء الجبهة الإسلامية للإنقاذ، التي قام بحلها وحل المجالس البلدية التي هيمنت عليها، كما قام بشن حملة اعتقالات واسعة النطاق ضد قياداتها. وبعد وفاته في جوان 1992 تم الإعلان عن المجلس الأعلى للدولة برئاسة السيد "علي كافي" والذي امتدت ولايته إلى غاية نهاية عام 1993 تدخل المجلس الأعلى للدولة بإعداد وثيقة تمثل مدا للفترة الانتقالية حتى عام 1996 للمناقشة من طرف الأحزاب والتنظيمات المهنية والنقابية لمناقشتها وعرض ما يتم الاتفاق عليه في استفتاء شعبي. إلا أن الاتفاق فشل بسبب قضية إشراك الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي أعلنت رفضها لأي حوار مع المؤسسة العسكرية وأعلنت تمسكها بالدولة الإسلامية كبديل. وعلى صعيد الأزمات الاقتصادية، أدى البرنامج الاقتصادي الذي رفع العجز في الميزانية إلى 40 % بعد تدمير 50 % من الإنتاج الزراعي¹ إلى فقدان النظام لما تبقى من شرعيته، و بالنتيجة تفاقمت الأوضاع قرب نهاية ولاية هذا المجلس.

¹ - المرجع السابق الذكر، ص 142.

طرابلس خصوصا الذي يفضل العمل بمفهوم الديمقراطية الاشتراكية بدل العمل بمفهوم الديمقراطية الليبرالية لكون طبيعة الديمقراطية الاشتراكية تختلف جوهريا عن الديمقراطية الشككية في البلدان الرأسمالية التي تقوم أجهزتها على التملك الخاص لوسائل الإنتاج واغتصاب السلطة... فالديمقراطية الاشتراكية تضمن للجماهير الشعبية ممارسة الحكم... وفي آن واحد تدافع عن مكتسبات الثورة...² كما أكدته أيضا دستور 8 سبتمبر 1963 الذي نص على ضرورة الممارسة الحقيقية للسلطة من قبل الشعب، ونفس الشيء نجده في ميثاق عام 1964 وفي ميثاق 1976 الذي نص على ديمقراطية اشتراكية أساسها الملكية العامة لوسائل الإنتاج وممارسة السلطة من قبل الشعب.³

أما دستور فيفري 1989، فقد نص أيضا على أن الدولة الجزائرية هي دولة ديمقراطية شعبية⁴، وهنا نلاحظ استمرارية النظام الديمقراطي في الجزائر مع محاولة إبعاد الدستور عن كل نهج إيديولوجي وبالتالي فإن دستور 1989 هو عبارة عن دستور قانون وليس دستور برنامج ولو أن لكل برنامج قانون والعكس صحيح. وفي مجال الإصلاحات السياسية نص دستور 1989 على تكريس الفصل ما بين الحزب والدولة، ومن ثم السماح بالتعددية السياسية حيث نصت المادة 39 على أن: حريات التعبير والجمعيات والتجمع مضمونة للمواطنين، كما نصت المادة: 40 على أن حق إنشاء جمعيات ذات طابع سياسي معترف به. و نص أيضا دستور 1989 على إلغاء النص المتضمن أن رئيس الجمهورية يجسد وحدة القيادة السياسية

عقاب من ثبت تورطه في تلك الأحداث وإتاحة الفرصة لمن يعلن استسلامه للاستفادة من تخفيف العقوبة بموجب قانون الوفاق المدني مع ربط إمكانية العفو الشامل بالرجوع إلى الاستفتاء الشعبي وحده و يقوم أيضا على إبقاء الحظر المفروض على نشاط الجبهة الإسلامية للإنقاذ بما أن هناك حكما قضائيا نهائيا يقضي بحل الجبهة.

ورغم محاولة الرئيس "بوتفليقة" في ترتيب البيت من الداخل من خلال قانون الوفاق الوطني والمصالحة الوطنية والعفو الشامل في الولاية الرئاسية الثانية له ابتداء وبالإضافة إلى تحركاته الدبلوماسية خارجيا في الفترة الرئاسية الأولى فإن النظام السياسي الجزائري بقي يعاني من أزمة الشرعية، حيث استندت النخبة العسكرية الحاكمة في الجزائر إلى شرعية ثورية تعبوية لم تأسس على قبول شعبي أو تراض اجتماعي بل على التاريخ الثوري المجيد. لذلك نجد اليوم محاولات رئيس الجمهورية لتعويض ممارسة السلطة باسم الشرعية الثورية بممارسة السلطة باسم الشرعية الديمقراطية.¹

والى هنا نصل إلى القول بأن الانتخابات ومنذ بداية التعددية، تفرز نتائج مختلطة بالنسبة لحقيقة الانتقال الديمقراطي حيث تتميز بالطعن في مصداقيتها و بانخفاض المشاركة الشعبية وحتى بتزويرها لصالح أحزاب الموالية للسلطة بغد النظر على أن التشريعية منها لم تعكس مفهوم التداول على السلطة. في حين أن جذور الديمقراطية نجدها في قانون الانتخابات و الموثيق الثورية والدستورية للجزائر كبيان أول نوفمبر و ميثاق الصومام وبرنامج

² - الميثاق الوطني (1976)، المرجع السابق الذكر، ص 71.

³ - المرجع نفسه، ص 70 - 71.

⁴ - ج.ج.د.ش، المرسوم الرئاسي رقم: 89 - 18، والمتعلق بنشر نص تعديل الدستور الموافق عليه في استفتاء 23 فبراير 1989، المرجع السابق الذكر، المادة: 1، ص 236.

فرد أو جماعة. (راجع: حسن بكر، العنف السياسي في مصر: أسبوط بؤرة التوتر - الأسباب والدوافع 1977-1993، القاهرة: مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، 1996، ص 54).

¹ - يومية الخير، الجزائر، العدد: 4257، بتاريخ 2004/12/02، ص 3.

والسري، ويعين رئيس الجمهورية الثلث الباقي. حق الرئيس في التشريع بمراسيم رئاسية في غياب البرلمان، مما يعني منح الرئيس سلطات تشريعية وتنفيذية. تقليص عدد الأحزاب من خلال تضييق قوانين الانتخاب، التي جاءت بعد شهور قليلة من صدور هذا الدستور. ترقية الحقوق السياسية للمرأة بتوسيع حظوظ تمثيلها في المجالس المنتخبة. ورغم أن دستور 1996 قد أكد على مبدأ التعددية الوارد في دستور 1989، إلا أنه قد كرس الآليات السلطوية لدستور 1976م، وهو ما يطلق عليه فقهاء القانون الدستوري النظام الرئاسي الصلب، وهو النظام الذي يجمع كل السلطات في يد الجهاز التنفيذي وبمهمش دور المؤسسات التشريعية في ممارسة السلطة. كما يرى البعض أن السلطة التي يتمتع بها رئيس الجمهورية على حساب المؤسسات الدستورية الأخرى تتسع لتشمل الأحزاب السياسية². كذلك نجد انعكاس مركزية السلطة وتركيزها في مؤسسة الرئاسة والسلطة التنفيذية على مستوى المجالس البلدية والولائية، حيث أن الولاة المعينين من قبل رئيس الجمهورية يتمتعون بصلاحيات تنفيذية واسعة على حساب المجالس الشعبية المحلية المنتخبة. وهذا ما يدعو إلى ضرورة التركيز على تحديد طبيعة النظام السياسي من خلال تعميق الفكر السياسي المحدد له من جهة، وعلى الاهتمام بمبدي الديمقراطية والانتخابات من جهة ثانية، ثم الاهتمام بآلياته التطبيقية والمتعلقة بالنظم الانتخابية والتقسيم الإقليمي، وبالتالي الاهتمام الرسمي بالممارسة السياسية الديمقراطية الناجمة من خلال التعددية السياسية الفعالة، واحترام حرية الرأي

للحزب والدولة، ويعين الحكومة ويحدد سياستها. كما تم بعض التقليص لصلاحيات رئيس الجمهورية في ميدان المبادرة في القوانين، حيث أنتقل هذا الحق إلى رئيس الحكومة. و نص أيضا في الفصل الرابع على توسيع مجال حقوق الإنسان والحريات الأساسية، بالإضافة إلى التأكيد على استقلالية السلطة القضائية وحماية القاضي ضد أي شكل من أشكال التدخل أو الضغط من خلال المادة 29 وإقامة مجلس دستوري وظيفته حماية الدستور بموجب المادة: 153. كما اعد نفس الدستور إنهاء الدور السياسي للجيش بانحصار مسؤولية الجيش في حفظ الاستقرار والسيادة الوطنية والدفاع عن حدود البلاد فقط على عكس دستور 1976 الذي كان يخول للجيش بناء الاشتراكية لكن الواقع يثبت عدم فصل المؤسسة العسكرية عن العملية السياسية. فإذا جاء دستور 1989 حاملا للعديد من الأحكام التي لم نعشها في السابق ورغم الإصلاحات السياسية التي أدخلها إلا أن هذه التجربة الجزائرية تهاوت بعد اقل من ثلاث سنوات على خلفية استقالة أو بالأحرى إقالة الرئيس السابق "الشاذلي بن جديد". وأما دستور 28 نوفمبر 1996¹ فقد جاء بتعديلات عديدة لسد الفراغات القانونية والتقنية في دستور 1989 وتوسيع صلاحيات رئيس الجمهورية وذلك عن طريق حظر النشاط الحزبي القائم على أسس دينية أو عرقية. إنشاء غرفة برلمانية ثانية تتشكل بالجمع ما بين الانتخاب والتعيين. إذ ينتخب ثلثي الأعضاء بالانتخاب المباشر

¹ - ج.ج.د.ش، المرسوم الرئاسي رقم: 96-438، المؤرخ في 7 ديسمبر 1996، ويتعلق بإصدار نص تعديل الدستور المصادق عليه في استفتاء 28 نوفمبر 1996، المعدل ب : القانون رقم 03-02 المؤرخ في 10 أبريل 2002 الجريدة الرسمية رقم 25 المؤرخة في 14 أبريل 2002 والقانون رقم 08-19 المؤرخ في 15 نوفمبر 2008 الجريدة الرسمية رقم 63 المؤرخة في 16 نوفمبر 2008، الجريدة الرسمية، الصادرة بتاريخ 8 ديسمبر 1996، العدد: 76.

² - إسماعيل فيرة وآخرون، مستقبل الديمقراطية في الجزائر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002، ص 137.

اعترف فيه لأول مرة بوجود اتجاهات وحساسيات مختلفة داخل أجهزة الدولة والحزب. ومن هنا يمكن التساؤل عن الطبيعة القانونية لدستور 1989 والمبادئ التي يقوم عليها.

يعرّف المشرع الجزائري دستور 23 فبراير 1989 بالعبارات التالية: "إن الدستور هو القانون الأساسي الذي يضمن الحقوق والحريات الفردية والجماعية، ويحمي مبدأ حرية اختيار الشعب، ويضفي الشرعية على ممارسة السلطات، ويكفل الحماية القانونية ورقابة عمل السلطات العمومية في مجتمع تسوده الشرعية، ويتحقق فيه تفتح الإنسان بكل أبعاده".

وانطلاقاً من هذا التعريف، نلاحظ أن المشرع يركز على بناء دولة القانون، والفصل بين البعدين القانوني والإيديولوجي، خلافاً لمرحلة نظام الحزب الواحد التي تميزت بالخلط بين هذين البعدين، حيث كانت الأيديولوجيا تغلب على القانون، مما أدى إلى تناقضات في التشريعات والمؤسسات نفسها. أما دستور 1989، فقد جاء خالياً من الشحنة الإيديولوجية، بتركيزه أكثر على المبادئ العامة التي تقوم عليها دولة القانون على غرار الأنظمة الديمقراطية. ويمكن اعتباره "دستور- قانون"، لأنه يقتصر على ذكر الجوانب القانونية المتعلقة بتنظيم السلطة وتحديد صلاحياتها، وتكريس نظام الحريات وحقوق الأفراد.

وقد أخذ المشرع الدستوري سنة 1989 ببعض المبادئ العامة التي نصّت عليها الدساتير السابقة، وفي نفس الوقت تبنت مبادئ جديدة لم تعدها الجزائر سلفاً، والتي تعبّر عموماً عن الانفتاح السياسي والبناء الديمقراطي. وأقرّ الدستور لأول مرة منذ الاستقلال مبدأ التعددية الحزبية، وفسح المجال للتنافس السياسي، والتداول على السلطة كما نصّ على مبادئ الفصل بين السلطات وحرية التفكير والابتكار، وحرية الرأي والتعبير. وأكد على مبدأ السيادة للشعب (المادة 06)، ومبدأ استقلالية

السياسي وقانون الأحزاب¹. ومن ناحية أخرى تعاني معظم الأحزاب من مشكلات داخلية أهمها الفشل في ترسيخ الممارسة الديمقراطية داخل صفوفها وبين أعضائها، حيث تميزت الحياة الحزبية بسيادة النزعة السلطوية والاحتكار الشخصي والجيلي للسلطة²، مما أدى إلى بروز انقسامات عديدة في صفوفها وتعطيل الحياة الحزبية السليمة واستنفاد طاقتها في صراعات داخلية من أجل الزعامة

2. الإصلاحات السياسية الجزائرية منذ 1989:

لقد كشفت أحداث 5 أكتوبر 1988 عن عمق أزمة المجتمع الجزائري، وعلى وجود عدم توازن بين مشروع الثورة الاشتراكية الذي كان يحمله الخطاب الرسمي، والوسائل الموضوعية في سبيل إنجازه كما أنّ الدولة الاشتراكية، ومن خلفها جميع المؤسسات، عجزت عن تحقيق السعادة الفردية لكل مواطن جزائري كما ورد في النصوص والمواثيق الثورية. وتعود أسباب هذه الأحداث التي شكّلت منعرجاً هاماً في التاريخ السياسي للجزائر إلى رفض النظام السياسي القائم آنذاك، بقيادة حزب جبهة التحرير الوطني، واقتسام السلطة، وفسح المجال للحريات السياسية، في ظل غياب قيادة رشيدة و إلى انتشار الرشوة والفساد والمحسوبية على نطاق واسع وفي جميع مؤسسات الدولة وإهمال دور العنصر البشري في التنمية خاصة الكفاءات الجامعية و إلى تهميش المجتمع المدني ووجود نسيج اجتماعي متفكك. و في ظل هذه الظروف السياسية صدر دستور 23 فيفري (1) 1989 بعد الخطاب التاريخي الذي ألقاه الرئيس الشاذلي بن جديد في 10 أكتوبر 1988، والذي أقر فيه بضرورة الإصلاحات السياسية والاقتصادية، كما

¹ - ج.ج.د.ش. القانون العضوي المتعلق بالأحزاب السياسية، الصادر بمقتضى الأمر رقم: 97 - 09، المؤرخ في 06 مارس 1997، الجريدة الرسمية، العدد: 12، المواد من 2 إلى 43، ص 30-35.

² - أحمد منيسي، مرجع سابق الذكر، ص 158.

الإصلاحات السياسية في سنة 2000، تحت شعار إصلاح هيكل الدولة، شملت العديد من القطاعات على غرار العدالة، والتربية، والتعليم والتوظيف العمومي، والجماعات المحلية. وترتكز استراتيجية الإصلاح في مطلع القرن الحالي على مجموعة من الأهداف:

- إصلاح العدالة بهدف إقامة دولة القانون؛

- مواصلة إصلاح هيكل الدولة

- تنمية الشراكة بين الدولة والقطاع الخاص والمجتمع المدني؛ بمعنى الحكم الراشد؛

- إصلاح قانون الأسرة

- إصلاح المنظومة التربوية

- تعميق الإصلاحات الاقتصادية والمالية

وفي أبريل 2011 أعلن الرئيس عبد العزيز بوتفليقة عن جملة من الإصلاحات السياسية خصت تعديل بعض النصوص التشريعية التي لها علاقة بالممارسة الديمقراطية وتدعيم دولة القانون. وقد شملت قطاعات الإعلام، وقانون الأحزاب السياسية، والنظام الانتخابي، والتمثيل النسوي في المجالس المنتخبة، وحالات التنافي مع العضوية النيابية، والجمعيات المدنية.

وحظيت هذه الإصلاحات بمصادقة البرلمان بغرفتيه في انتظار تعديل الدستور لاحقا. غير أنها أثارت جدلا كبيرا في أوساط الطبقة السياسية حول محتواها وأبعادها، فحسب قيادات بعض الأحزاب المعارضة، السلطة لا تملك الشرعية التي تؤهلها لقيادة هذه الإصلاحات، مادام أنه لم يسبقها حوار ومشاورات واسعة مع الفاعلين السياسيين، وممثلي المجتمع المدني، على الرغم من أن السلطة قد عيّنت لجنة خاصة للإشراف على هذه العملية. ويعاب على هذه الإصلاحات أيضا أنها شملت النصوص التشريعية الفرعية، وكان المفروض المبادرة بتعديل القانون

القضاء، ومبدأ الرقابة الدستورية ومبدأ الإسلام دين الدولة. إلا أن دستور 1989 لم يكن خاليا من الإختلالات والفجوات الناتجة أساسا عن التسرع في إعداده لأنه وضع على أنقاض نظام الحزب الواحد. ومن أهم هذه الفجوات عدم النص على حالة استخلاف رئيس الجمهورية عند تزامن استقالته مع حل البرلمان، مما أدى إلى نوع من الارتباك السياسي، والفراغ الدستوري بعد استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد في جانفي 1992، مباشرة بعد تعليق المسار الانتخابي.

ولتفادي هذه الثغرات كان من الضروري القيام بتعديلات دستورية جوهرية من أجل تثبيت أركان الدولة ونظامها الجمهوري، بعد مرور مرحلة انتقالية صعبة على المستويين السياسي والأمني. وبالفعل استأنفت الدولة مسار الإصلاحات السياسية بالمبادرة بتعديلات دستورية في 28 نوفمبر 1996، التي تلاها قانون الانتخابات في 6 مارس 1997، ثم قانون الأحزاب في نفس التاريخ. هذه الإصلاحات جاءت لوضع حد للمرحلة الانتقالية التي استمرت من 1992 إلى 1996.

وقد أكد دستور 1996 على البعد التاريخي والحضاري لمؤسسات الدولة من خلال نصه في الديباجة على أن المكونات الأساسية لهويتنا هي الإسلام والعروبة والأمازيغية، وعلى وضع مقاييس جديدة لتأسيس الأحزاب السياسية، وإعادة تنظيم المؤسسة التنفيذية، وإحداث محكمة عليا للدولة تختص بمحاكمة رئيس الجمهورية عن الأفعال التي يمكن وصفها بالخيانة العظمى، وكذا رئيس الحكومة، عن الجنایات والجنح التي يرتكبها بمناسبة تأديته لمهامه. كما ينص على إنشاء غرفة برلمانية ثانية هي مجلس الأمة، وتعزيز دور المجلس الشعبي الوطني (الغرفة السفلى للبرلمان) في الرقابة على الحكومة.

وقد أعقبت هذه المرحلة التي تخللتها أحداث دامية وسميت بالعشرية السوداء موجة جديدة من

والحركية السياسية التي تعرفها البلاد، لأن التعديلات التي حدثت عام 2008، لم تكن في مستوى تطلعات الشعب. اذكر التعديلات اللاحقة 2016

إن القاسم المشترك بالنسبة للدول التي مسّتها الأحداث والانتفاضات، هو المطالبة بالإصلاح السياسي. وتوضح المعطيات في الواقع أن باقي الدول العربية بما فيها الجزائر ستأثر بطريقة أو بأخرى وبمستويات مختلفة بهذه الأحداث السياسية.

إن عملية الإصلاح السياسي في أغلب الدول العربية تعيش مخاضات عسيرة، وذلك بالنظر إلى مسار الممارسة السياسية والعملية الانتخابية عموماً، التي تحكمها اعتبارات سياسية، اجتماعية، اقتصادية وثقافية ودينية. وترتبط هذه الممارسة الديمقراطية في هذه الدول بمدى مصداقية وشفافية العملية الانتخابية ومدى مستوى المشاركة السياسية.

وبالرغم من الكثير من الإنجازات التي حققتها الجزائر على مستوى آليات الديمقراطية، خاصة ما يتعلق منها بالتعددية السياسية والإعلامية والانتخابات وغيرها، إلا أن عملية الإصلاح السياسي في البلاد مازالت رهينة التجاذب السياسي القائم على أساس نقص الوعي الديمقراطي وانعدام التقاليد السياسية.

تستدعي عملية الإصلاح السياسي في الجزائر بلورة إستراتيجية وطنية تتجاوز الثقافة السياسية القائمة على القبلية والجهوية والعرقية والدينية... وتكرس ثقافة سياسية ديمقراطية، تساهم فيها مختلف الفئات الاجتماعية للمجتمع وأحزاب ومجتمع مدني وجامعيين ومراكز بحث ومثقفين وسياسيين كما تفتقد الجزائر إلى ممارسة سياسية تصنعها الشعوب من خلال المشاركة السياسية الواسعة والمراقبة السياسية والقانونية واحترام حقوق الإنسان بكافة أنواعها.

إن عمليات الإصلاح السياسي المعتمدة في الجزائر لم تسع إلى تحقيق الإصلاح الجذري الشامل الذي يهدف

الأساسي المتمثل في الدستور، وإعادة انتخاب مؤسسات دستورية جديدة¹.

3. عملية الإصلاح السياسي في الجزائر:

ارتبطت عملية الإصلاح السياسي في الجزائر بتجارب التعديلات الدستورية المختلفة التي عرفتها البلاد منذ عام 1962، أي بعد الاستقلال. وقد كان أول دستور في عام 1963، وذلك خلال فترة حكم الرئيس الأسبق أحمد بن بلة. تميز هذا الدستور بمضمونه الاشتراكي وتكريس نظام الحزب الواحد. استمر العمل السياسي بدستور 1963 إلى غاية 10 جويلية 1965، أي أسابيع قليلة بعد الانقلاب العسكري الذي قاده الرئيس الأسبق هواري بومدين، حيث تم تعليق العمل بالدستور إلى غاية عام 1976، وهو التاريخ الذي صدرت فيه تعديلات دستورية. هذه التعديلات لم تتضمن إصلاحات سياسية تمس الحريات والتعددية السياسية... ويجمع المحللون أن فترة حكم الرئيس الأسبق الشاذلي بن جديد كانت أفضل من سابقتها خاصة وأنها قد تميّزت بتعدلات دستورية عميقة في 23 فبراير 1989، حيث أسّس لأول مرة لتعددية سياسية وإعلامية والتركيز على دولة القانون وغيرها من المكتسبات السياسية.

انطلاقاً مما سبق، فإن التعديلات الدستورية التي حدثت في عام 1989، تعد من أهم الإصلاحات السياسية التي عرفتها الجزائر المستقلة، لأنها حققت الانتقال من طبيعة النظام الأحادي إلى طبيعة نظام التعددية السياسية. كما عرف دستور 1996 تعديلات جديدة خلال فترة حكم اليامين زروال، مسّت المادة 74، حيث تمّ تحديد العهدة الرئاسية إلى اثنين.

وفي خضم عملية الإصلاح السياسي منذ أبريل 2011، تستعد البلاد إلى إجراء تعديلات دستورية تتماشى

¹ - مرازقة عبد الغفور، "الإصلاحات السياسية في الجزائر تحديات وأفاق"، مجلة الديمقراطية، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 51، 2013.

إذا مسيرة عملية الإصلاح السياسي في الجزائر مرتبطة بمجموعة من التحديات المختلفة، يمكن إيجازها فيما يلي:

أ. التحديات السياسية:

- انعدام الوعي الحقيقي للسلطة بأهمية الديمقراطية للمجتمع في تحقيق الاستقرار السياسي.²
- عدم اقتناع السلطة في الجزائر القائمة على الشرعية التاريخية، بمبدأ التداول على السلطة والانتقال إلى الشرعية الدستورية.
- ممارسة السلطة في الجزائر سياسة الإقصاء السياسي في حق القوى السياسية المعارضة.
- توظيف السلطة القائمة في الجزائر لسياسات مختلفة وجعل المواطن أكثر ارتباطا بهذه السياسات على حساب عملية الإصلاح السياسي، مثل: التهديد الخارجي، كتهديد تنظيم القاعدة وداعش...³
- عدم تجسيد بناء دولة القانون ومبدأ الفصل بين السلطات.

ب. التحديات الاجتماعية:

- تغييب دور المجتمع المدني في الحياة السياسية، باعتباره يشكل واسطة بين النظام القائم والمعارضة والمجتمع.
- فشل السلطة في الجزائر في بلورة مشروع مجتمع، بإمكانه أن يحسم في الكثير من القضايا المصرية، مثل: الهوية، الدين، المرأة، الثقافة...
- إضعاف المنظومة التربوية بقصد أو عن غير قصد، والفشل في جعلها تواكب التطور الحاصل داخل المجتمع وخارجه.

ج. التحديات الاقتصادية:

إلى مواكبة التحولات السياسية الدولية التي حدثت في دول العالم، لأنها ببساطة تمت بطريقة انتقائية وبالتالي شكلية.

وبالرغم من النقائص المسجلة على مستوى الإصلاح السياسي، فإن الجزائر قد قطعت أشواطاً معتبرة في هذا المجال، لكنها ما تزال بعيدة مقارنة بدول أخرى رائدة في الممارسة الديمقراطية التعددية.

عملت الجزائر خلال السنوات الماضية الدخول في مرحلة الانتقال الديمقراطي رغم مرارة سنوات الإرهاب الذي زعزع أركان المجتمع الجزائري لأكثر من عشرية من الزمن. وتحتاج المرحلة الانتقالية للتحوّل الديمقراطي في أية دولة إلى سنوات طويلة حتى تحقق أهدافها المنشودة.

كذلك فإن نجاح المرحلة الانتقالية يشترط عملية إصلاح سياسي، تركز على عامل الثقافة السياسية، التي تسهم فيها كل القوى الفاعلة في المجتمع من أحزاب سياسية ومؤسسات المجتمع المدني والمجتمع السياسي على حد سواء.

4. تحديات الإصلاح في الجزائر:

إذا كانت الجزائر قد جابهت تحديات جمة في سبيل بناء دولتها الوطنية، فإنها قد فشلت فشلاً ذريعاً في استكمال بناء مشروعها الوطني المتمثل في تكريس الديمقراطية عبر عملية الإصلاح السياسي الذي يفتح المجال إلى تبني التعددية السياسية والإعلامية والتأسيس لدولة القانون، بالرغم من غياب الأحزاب السياسية الفاعلة في الكثير من الدول التي تحمل برامج سياسية بإمكانها التأثير على السلطة وإحداث التغيير السياسي¹. وما يحدث اليوم للجزائر هو نتيجة طبيعية للأخطاء السياسية والاقتصادية التي وقعت فيها هذه الدول، بسبب عدم تبنيها إستراتيجية تنموية تهتم بعمليات الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

² -² عمار بوحوش، الإصلاحات السياسية في الجزائر، على الموقع:

www.radioalgerie.dz/ar/index.php?option=com

id&view=article&_content

³ - المرجع نفسه.

¹ - نفس المرجع السابق الذكر، ونفس الصفحة.

اختياراته. لكن الشيء الذي حصل في أرض الواقع هو أن محاولات إدخال الإصلاحات على هياكل الحكومة والحزب من 1962 إلى غاية 1968، اتسمت بالارتجال والصراعات الشخصية إلى درجة أن الإصلاحات السياسية لم تكن معبرة عن مصالح الجماهير، وغير واقعية، وبالتالي فإن الإصلاحات السياسية والإدارية قد تعثرت في الماضي. وإن أحداث أكتوبر 1988 قد أثبتت بصفة عملية أن الدعوة للتضحية والنضال من طرف الحزب الحاكم وقادته لم تعد مجدية وأن المناضلين لم تعد تنطوي عليهم الحيل المتمثلة في رفع شعارات براقة وصياغة موثيق مثيرة بل أصبحوا يؤمنون بالعمل الملموس الذي يساعدهم على تحسين مستوى جميع الفئات الاجتماعية. كما أثبت أحداث أكتوبر 1988 أنه لم يعد من الممكن احتكار ديمقراطية العمل والتوجيه من أعلى وإهمال القاعدة لأن احتكار السلطة وعدم وجود منافسة حقيقية لا يدفعان أي مسؤول للاجتهاد والتفتح على المجتمع وقضاياه. ولهذا، فإن الإصلاحات السياسية جاءت لتفسح المجال أمام الأحزاب السياسية لكي يعبروا عن آرائهم واحتياجاتهم وإبراز القضايا الحقيقية للشعب والتخلص من فكرة الحزب الواحد الذي لا يعبر عن الواقع الاجتماعي بقدر ما يعبر عن الآراء الفوقية التي هي عبارة عن انعكاسات للفكر الفردي الذي تفرزه الزعامات.

أولاً: المخاطر المترتبة عن الإصلاحات السياسية إنه لمن الغلط أن يعتقد أي إنسان بأن تغيير أسلوب العمل في مجال السياسي واتجاه سياسة جديدة في مجال بناء المؤسسات المتينة للدولة سوق يقودان بالضرورة إلى حل المشاكل والأزمات التي يواجهها المجتمع الجزائري، لأن التغيير يفيد جماعات ويخدم قيم تحبذها فئات اجتماعية معينة وهذا على حساب جماعات أخرى كانت مستفيدة وتفقد امتيازاتها نتيجة لتغيير الأوضاع وظروف العمل. وعليه، فإن العهد الجديد، أي عهد الإصلاحات السياسية، سوف

- الترويج منذ الاستقلال على أن بناء الدولة، يبدأ بالتنمية قبل الديمقراطية، الأمر الذي أدى إلى تأخر نجاح عملية الإصلاح السياسي في الجزائر.

- تحالف أصحاب المال والأغنياء مع أصحاب النفوذ في أعلى هرم السلطة، وهو ما أدى إلى انتشار الفساد المالي والسياسي على حساب الممارسة السياسية الشريفة.

د. التحديات الثقافية:

- إن التعصب الثقافي والإيديولوجي بالنسبة للتيارات الثقافية والإيديولوجية المختلفة في ظل الإقصاء المتبادل، كان له انعكاسات سلبية على عملية الإصلاح السياسي.

- غياب المشاريع الثقافية الوطنية للنخب الثقافية في مواجهة المشاريع الثقافية الغربية.

- عدم توظيف الخصوصيات الدينية الثقافية والقبلية والعشائرية في ظل مشروع ثقافي وطني يحفظ الوحدة الوطنية ويكون سدًا منيعًا أمام مشاريع الهيمنة الخارجية.

5. أسباب فشل الإصلاحات السياسية:

في البداية يتعين علينا أن نشير إلى أن نجاح ثورة الجزائر في استعادة السيادة الوطنية سنة 1962، يرجع في الأساس إلى وضوح الهدف المتمثل في التحرر من القوى الأجنبية ساعد على وحدة الصف وإقامة تحالف بين جميع الأطراف المتواجدة على الساحة الجزائرية. وبفضل هذا التحالف الاستراتيجي بين التنظيمات السياسية التي كانت عندها رغبة في النضال أو اعتماد أبناء الجزائر على أنفسهم في تحرير وطنهم، نجح الجزائريون في تحرير بلدهم من الهيمنة الأجنبية والتزم القادة في خطهم السياسية بإشراك جميع الفئات الاجتماعية في اتخاذ القرارات ودعم القوى الثورية بحيث يكون رجال القاعدة هم الذين يؤثرون في صنع القرارات وتطبيقها وبالتالي يكون لهذا النوع من التنظيم الاجتماعي جمهور يصعب على أي بيروقراطي أن يصمد في وجهه أو يتعدى على

إن الاندماج السياسي عامل أساسي مساعد على الاستقرار السياسي، ونجاح الإصلاحات. وفي الوقت الذي عرف فيه المجتمع الجزائري تحولات كبرى على مستوى التركيبة الاجتماعية للسكان، وعلى مستوى الوعي السياسي والثقافي، لم تعرف الدولة تجديدا في النخب الحاكمة، مما ولد قطيعة بين هذه النخب والمجتمع الذي يتشكل في غالبيته من الشباب. وفي ظل هذه الظروف تغيب الثقة والدعم الشعبي للسلطة في مبادراتها للتغيير، فيسود الملل، وتفشل الإصلاحات.

ب. تكريس مكانة السلطة التنفيذية:

إن المتتبع للإصلاحات السياسية في الجزائر يلاحظ أنها كانت دوما بمبادرة من المؤسسة التنفيذية التي تحظى بمكانة خاصة في مختلف الدساتير منذ الاستقلال. هذا ما جعل العديد من المختصين في القانون الدستوري يصنفون النظام السياسي الجزائري ضمن الأنظمة الرئاسية المغلقة، نظرا للسلطات الواسعة التي يتمتع بها رئيس الجمهورية، والتي تمتد إلى مجال التشريع وإصدار حقّ الفيتو على القوانين التي يصدرها البرلمان، كما جاء في دستور 1996. هذا التركيز الشديد للسلطة يتنافى في حدّ ذاته مع مفهوم الدولة الحديثة ويقصي البرلمان من المساهمة في المبادرة بالإصلاحات ومتابعة تجسيدها.

ج. التعددية السياسية تعددية شكلية:

إن الساحة السياسية الجزائرية تعرف إعادة هيكلة مستمرة لخريطة الأحزاب السياسية، إلا أنّ التعددية في حدّ ذاتها لم تجد بعد طريقها الصحيح، لأنّ بعض الأطراف في الدولة لم تتعود، من منطلق النزعة التسلّطية على وجود هيكل سياسي آخر يزاحمها، والبعض الآخر خائف على تشتت الوحدة الوطنية، فيما يتّجه فريق آخر إلى المطالبة بالإسراع في تجسيد التعددية السياسية ومبدأ التداول على السلطة. في هذا السياق صدر القانون العضوي الذي يحكم الأحزاب السياسية في 6 مارس 1997، فأعاد النظر في

تترتب عنه مخاطر لا ينبغي تجاهلها أو التقليل من شأنها. والخطر هنا هو أن التنظيم قد دفع بالعديد من المسؤولين إلى تسييس كل مشاريع العمل بحيث تصير الضغوطات والعلاقات السياسية هي التي تؤثر في مصير كل مشروع عمل حكومي النخب وأصحاب المهارات الذين تحال إليهم القضايا لدراستها والبت فيها بموضوعية.

ثانيا: معوقات الإصلاح الديمقراطي في الجزائر

مما لا شك فيه أن نجاح أي إصلاح مرهون بتوافر مجموعة من العوامل والأجواء السياسية والسياق العام المناسب. إلا أنّ المتتبع للمشهد السياسي الجزائري يلاحظ غياب الظروف الموضوعية لتجسيد الإصلاحات الديمقراطية، بسبب وجود عوائق متعددة، اقتصادية، واجتماعية وثقافية منها الخطاب السياسي الجزائري "خطاب أزمة" من الثابت أنّه توجد علاقة وثيقة بين الإصلاح والأزمة، بمعنى أنّ الأزمة هي التي تولد الإصلاحات، وتدفع بالحكام إلى اتخاذ إجراءات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية لمواجهة هذه الأزمة. ويعتقد الأستاذ بلحاج صالح أن الخطاب الديمقراطي العربي هو خطاب أزمة يظهر في ظروف متأزمة ومضطربة يولد تشنجات وتوترات في وعي الأفراد وإدراكهم¹.

والنظام السياسي الجزائري، هو الآخر، يعاني من أزمة متعددة الجوانب، وفي طبيعتها أزمة الشّرعية. وحتى الساعة، لا يزال النظام السياسي القائم يبحث عن شرعية بديلة للشرعية التاريخية والثورية التي ميّزت مرحلة نظام الحزب الواحد والعهد الاشتراكي. وبطبيعة الحال إذا كان النظام يفتقد الشّرعية، فإنه من الصعب للغاية إنجاح إصلاحاته مهما تكن طبيعتها.

أ. ضعف الاندماج السياسي:

¹ - صالح بلحاج، السلطة التشريعية الغائب الأكبر في النظام السياسي الجزائري، ط(1)، الجزائر: دار قرطبة، 2006، ص 47.

في خلق أزمة داخلية في العديد من الأحزاب، أدت في النهاية إلى الانقسام في صفوفها وبروز صراعات بين القيادات التاريخية أو المؤسسين والحركات التصحيحية، على غرار حزب جبهة التحرير الوطني، والتجمع الوطني الديمقراطي، وحركة الإصلاح. وكنتيجة لغياب الديمقراطية في هذه الأحزاب وقيامها على الشخصية والتعصب، وبسبب الانقسامات بداخلها، يعرف معظمها هجرة جماعية من صفوفها ونفور المواطنين خاصة الشباب من الانخراط فيها و كذا تفشي سلوكيات غير ديمقراطية بداخل الأحزاب السياسية، حيث أضحي المال² أحد المتغيرات الأساسية لتصدر القوائم الانتخابية، على حساب اعتبارات الكفاءة. كما ويقود هذه العملية رجال أعمال و مقاولين لا علاقة لهم بالسياسة. بالإضافة إلى أن جل الأحزاب السياسية تفتقر إلى برامج أو ورؤى واضحة حول مختلف القضايا الوطنية مثل السياسة الأمنية، والاستثمارات الأجنبية، والمنظومة التربوية، والبطالة، وألويات التنمية وسبل معالجتها، كما يتميز خطابها بالغموض والتشابه في المضمون. يمكن أيضا أن نتكلم عن استمرار السلطة في توظيف حزب جبهة التحرير الوطني، كرمز من الرموز التاريخية والوطنية، ما يعطي الانطباع أنه البديل الوحيد ولا مجال للتعددية.

د. الانتخابات من أجل تجديد الشرعية:

يعدّ حق الاقتراع العام الحر مكسبا من مكاسب التحول الديمقراطي في الجزائر منذ بداية الإصلاحات السياسية في 1989، إذ تعبر الانتخابات التعددية عن الانفتاح السياسي، وبناء مؤسسات ديمقراطية بعيدا عن الانقلابات والعنف. ونتساءل في هذا الصدد، هل أدت الانتخابات التعددية في الجزائر إلى التداول السلمي على السلطة على مستوى المؤسسات المركزية

² - عاطف قدارة، "الشكارة والجهوية والولاء صنعت جزءا من البرلمان" جريدة الخبر الصادرة بالجزائر، العدد (5659)، 06 جوان 2009، ص 02.

الإجراءات التنظيمية وشروط إنشاء الأحزاب السياسية، ولعل أبرزها منع توظيفها لعناصر الهوية الوطنية لأغراض سياسية. وعلى الرغم من الحرية النسبية التي تتمتع بها الأحزاب السياسية عند تأسيسها أو ممارسة نشاطها، فإنّ تدخل الدولة، عن طريق وزارة الداخلية التي تمنح الاعتماد للأحزاب أو بواسطة وزارة العدل التي تقوم بمنعها من النشاط في حالة مخالفتها للقوانين، يثير النقاش حول حرية نشاط الأحزاب، وحياد الإدارة، وبسط نفوذها عليها، ولذلك كان من الأفضل إعطاء صلاحية اعتماد الأحزاب السياسية إلى لجنة قانونية مستقلة عن وزارة الداخلية لتدعيم الطابع الديمقراطي وضمان الشفافية في اعتماد الأحزاب. إلا أن التباطؤ في إعادة بناء مؤسسات الدولة والتأخر في إصلاح قانون الأحزاب لم يسمح لهذه الأخيرة ولا للانتخابات التعددية بإفراز نخب سياسية جديدة، حيث بقيت معظم هذه الأحزاب تدور في فلك السلطة ولم تفلح في تشكيل قوّة بديلة، حيث تحوّلت مع مرور الوقت إلى أداة توظيفها السلطة في المناسبات السياسية والانتخابية من أجل استمرارها في الحكم، بالإضافة إلى أنها أصبحت مجرد أوعية لأصحاب المصالح والمطامع الشخصية إلى درجة أنّ الأحزاب الصغيرة باعت رؤوس القوائم للمرشحين الذين لا علاقة لهم بها¹.

ويعود هذا الإخفاق الحزبي إلى أن هناك عدد كبير ومبالغ فيه من الأحزاب السياسية، وهذا ليس في صالح المعارضة بقدر ما يخدم الحزب الحاكم. فهذه الفسيفساء من الأحزاب، انعكست سلبا على حظوظ فوزها في الانتخابات، وعلى تمثيلها وتصويتها داخل البرلمان و على غياب الممارسة الديمقراطية داخل معظم الأحزاب بحكم سيطرة عقلية الزعامة والجهوية الضيقة والروابط العشائرية. هذا ما أسهم

¹ - عبد الغفور مرزوقة، مرجع سابق، ص 32.

و. ظاهرة الفساد:

إنّ الفساد بجميع الأشكال و الوسائل غير المشروعة تحوّل إلى نوع من نظام للحكم في ظل غياب آليات حقيقية للرقابة والمحاسبة، سواء من طرف البرلمان أو الأحزاب السياسية أو السلطة القضائية أو منظمات المجتمع المدني وبالتالي أصبح عائقا أساسيا لأيّ إصلاح، حيث تحوّل من مشكلة أخلاقية إلى إشكالية سياسية، واللافت للإنتباه أنّ عملية الإصلاحات السياسية أسندت إلى الأجهزة البيروقراطية وجماعات المصالح التي أسهمت في الفساد، فسعت إلى تعطيلها للحفاظ على امتيازاتها ومصالحها. وفي 06 فبراير 2006 صدر أول قانون جزائري لمكافحة الفساد، وصحبه حملة واسعة لمراقبة العمليات المالية والمصرفية المشبوهة. وفي هذا الصدد، بادرت الدولة إلى التوقيع على العديد من الاتفاقيات الدولية لمكافحة الفساد، ومن ضمنها اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة في سنة 2000، واتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد في عام 2003. وعلى الرغم من هذه القوانين لازالت الجزائر تحتل مراتب متقدّمة في سلّم الفساد الدولي.

ز. الربع النفطي

الجزائر باعتبارها دولة ريعية تعتمد بنسبة كبيرة على الجباية النفطية في تمويل ميزانيتها، وقد أصبح هذا الربع، مع مرور الوقت، نعمة بالنسبة للنخبة الحاكمة من جهة، و"نقمة" على الشعب من جهة أخرى. هذه النخبة، تحاول بشتى الوسائل الحدّ من فعالية الإصلاحات الديمقراطية، وعدم السماح بتبلور نخب سياسية جديدة قد تنافسها البقاء في السلطة، وتعصف بامتيازاتها، حيث أصبح الربع هو الذي يضبط العلاقة بين الدولة والمجتمع. عموما، إنّ الاقتصاد الجزائري، وبعد مرور 52 سنة من الاستقلال، لم يتحرّر بعد من السياسة، هذا ما دفع بالمتشائمين للاستنتاج أنّه لا يمكن التفاؤل بنجاح الإصلاحات السياسية والاقتصادية مادامت الجزائر

والمحلية؟ وهل أفرزت نخباً سياسية جديدة؟ وما هي حقيقة المشهد الانتخابي؟

من خلال الاستحقاقات منذ الإقرار بمبدأ التعددية الحزبية، يستخلص أنها لم تؤد بعد إلى تغيير جذري على مستوى التركيبة الاجتماعية والسياسية للسلطة، وبالتالي لم تفرز نخباً سياسية جديدة. وأنها لا تعكس مشاركة شعبية واسعة باستثناء الانتخابات الرئاسية، الأمر الذي يدفع إلى القول أن العزوف الانتخابي هو تعبير عن يأس المواطنين من حدوث تغيير عبر آلية الانتخاب، حيث بلغت نسبة المشاركة 48.38% خلال الانتخابات التشريعية التي جرت في 10 مايو 2012، ونسبة 42.84% في الانتخابات المحلية التي نظّمت في 29 نوفمبر 2012. كما أنها تحولت إلى مناسبة لتجديد شرعية المؤسسات القائمة على المستوى الداخلي وتجاه الرأي العام الدولي.

هـ. ظاهرة البيروقراطية:

بالعودة إلى مرحلة نظام الحزب الواحد، طغت على الإدارة الوظيفة السياسية، فتحوّلت إلى جهاز في خدمة الحزب الحاكم، حيث لم يكن هناك فصل بين العمل السياسي والعمل الإداري. ومنذ التعددية السياسية، أوكلت للجهاز الإداري مهمّة تقديم الخدمات العمومية للمواطن في إطار الحياد السياسي. ونظرا لبقاء أساليب الإدارة والتسيير على حالها، لم يتمكّن الجهاز البيروقراطي من مواكبة موجة التغيّر والإصلاح، حتّى أصبح وسيلة للتخلف، بدلا من أن يكون وسيلة لتقديم الخدمات وتحقيق التنمية.

والجزائر باعتبارها دولة ريعية، انتهجت فيما الإدارة في تسييرها ملفّات التنمية الاقتصادية والاجتماعية أسلوبا بيروقراطيا روتينيا بعيدا عن الأساليب الحديثة في التسيير، ممّا أدّى في نهاية المطاف إلى نوع من الركود في وتيرة تجسيد المشاريع التنموية.

¹ - صالح بلحاج، مرجع سابق، ص 70.

الجزائر من خارج المنطقة. ولتحقيق عملية الإصلاح السياسي³ في الجزائر يجب على النخب السياسية والسلطة القائمة والجماعات الوسيطة كمؤسسات المجتمع المدني أن تقتنع بضرورة القيام بإصلاحات سياسية دستورية تجسّد التغيير السياسي الديمقراطي⁴ بسبب أن عملية تطوير وإصلاح سياسي لا تكون ممكنة دون أن تلازمها عملية إصلاح وتنمية اقتصادية، فلا حديث عن تنمية اقتصادية بدون تنمية سياسية، فالأمن يتحقق بوجود تنمية.

قائمة المراجع:

1. الكتب

- أحمد منيسي "محررا"، التحول الديمقراطي في دول المغرب العربي. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، 2004، ص 133.
- إسماعيل قيرو وآخرون، مستقبل الديمقراطية في الجزائر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002.
- حسن بكر، العنف السياسي في مصر: أسبوط بؤرة التوتر - الأسباب والدوافع 1977-1993. القاهرة: مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، 1996.
- خميس حزام والي، إشكالية الشرعية في الأنظمة السياسية العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003.
- سعيد بو الشعير، النظام السياسي الجزائري. الطبعة الثانية، عين مليلة: دار الهدى، 1993.

³ نورالدين زمام، القوى السياسية: دراسة في علم الاجتماع السياسي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 213.

⁴ عبد الحليم الزيات، التنمية السياسية: دراسة في علم الاجتماع السياسي. الجزء الثالث. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ب ت.

تعتمد على الربع النفطى¹ الذي تحوّل إلى عائق في وجه التّمية الاقتصادية بدلا من أن يكون عاملا لتحقيق الديمقراطية.

خاتمة: تقييم عملية الإصلاح السياسي

اعترضت التجربة السياسية في الجزائر مشكلات كبيرة بسبب عوامل موضوعية وتاريخية، كان لها تأثير كبير في مسيرة التنمية بمختلف أشكالها. فقد لعبت الدولة الاستعمارية دورا مؤثرا في تخلف البلاد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا².

لهذه الأسباب، فإن بناء جيل ناضج سياسيا ومنفتح وواعي بواقعه الاجتماعي يتفاعل إيجابيا بالتحوّلات المختلفة التي تشهدها البلاد لتكون أكثر فعالية على الممارسة الديمقراطية، يعتبر من بين الأولويات الوطنية. في حين أن العوامل الذاتية تتعلق بالدولة نفسها وظروفها الداخلية، أي ليست لها علاقة بشكل مباشر مع العامل الخارجي. لذا نركز هنا على عنصر الإرادة السياسية التي تحتاجها النخبة الحاكمة في الجزائر لتبني مشروع الإصلاح السياسي، الذي يهدف إلى تحقيق الديمقراطية التعددية وبناء دولة القانون. إن الجزائر لا يمكنها تجاوز الأزمة السياسية التي قد تدخل البلاد في الفوضى السياسية والأمنية، وحتى الوصول في بعض الحالات إلى حرب أهلية تهدد كيان الدولة واستمراريتها، إلا بتبني عملية إصلاح سياسي من خلال اعتماد إستراتيجية شاملة تتضمن خاصة تجسيد فكرة التعددية السياسية والإعلامية الحقيقية التي تحقق المساواة بين القوى السياسية وبناء دولة القانون والحق.

يمكن استخلاص مبررات الإصلاح السياسي في الجزائر من خلال التركيز على عوامل داخلية مختلفة، لأن التغيير يأتي من الداخل وليس من الخارج، وبعبارة أخرى إذا لم تتغير الأنفس فإن التغيير سيفرض عن

¹ عبد الغفور مرازقة، مرجع سابق، ص 33.

² فرانسيس فوكوياما، بناء الدولة. ترجمة: "مجاب الإمام"، الرياض: مكتبة العبيكان، 2007، ص 170.

2008 الجريدة الرسمية رقم 63 المؤرخة في 16 نوفمبر 2008، الجريدة الرسمية، الصادرة بتاريخ 8 ديسمبر 1996، العدد: 76.

- ج.ج.د.ش، القانون العضوي المتعلق بالأحزاب السياسية، الصادر بمقتضى الأمر رقم: 97 - 09، المؤرخ في 06 مارس 1997، الجريدة الرسمية، العدد: 12، المواد من 2 إلى 43، ص 30-35.

3. الجرائد:

- يومية الخبر، الجزائر، العدد: 4257، بتاريخ 02/ 12/ 2004، ص 3.

- عاطف قدارة، "الشكارة والجهوية والولاء صنعت جزءا من البرلمان" جريدة الخبر الصادرة بالجزائر، العدد (5659)، 06 جوان 2009.

4. المواقع الالكترونية:

- عمار بوحوش، الإصلاحات السياسية في الجزائر، على الموقع:

www.radioalgerie.dz/ar/index.php?option=id&view=article&=com_content

- صالح بلحاج، السلطة التشريعية الغائب الأكبر في النظام السياسي الجزائري. ط (1)، الجزائر: دار قرطبة، 2006.

- عبد الحليم الزيات، التنمية السياسية: دراسة في علم الاجتماع السياسي. الجزء الثالث. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ب ت.

- فرانسيس فوكوياما، بناء الدولة، ترجمة: "مجاب الإمام"، الرياض: مكتبة العبيكان، 2007.

- محمد بلقاسم حسن بهلول، الجزائر بين الأزمة الاقتصادية والأزمة السياسية. الجزائر: مطبعة دحلب، 1993.

- نورالدين زمام، القوى السياسية: دراسة في علم الاجتماع السياسي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

- مرازقة عبد الغفور، "الإصلاحات السياسية في الجزائر تحديات وآفاق"، مجلة الديمقراطية، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 51، 2013.

- سنوسي خنيش، "النظام السياسي الجزائري بين الإصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي"، ملتقى الإصلاح السياسي في الجزائر، قسم العلوم السياسية كلية الحقوق والعلوم السياسية المنعقد بجامعة الجلفة، يومي 07/06 مارس 2013.

2. الوثائق الرسمية:

- الميثاق الوطني (1976).

- ج.ج.د.ش، المرسوم الرئاسي رقم: 89 - 18، والمتعلق بنشر نص تعديل الدستور الموافق عليه في استفتاء 23 فبراير 1989، المادة: 1، ص 236.

- ج.ج.د.ش، المرسوم الرئاسي رقم: 96 - 438، المؤرخ في 7 ديسمبر 1996، ويتعلق بإصدار نص تعديل الدستور المصادق عليه في استفتاء 28 نوفمبر 1996، المعدل ب: القانون رقم 03-02 المؤرخ في 10 أبريل 2002 الجريدة الرسمية رقم 25 المؤرخة في 14 أبريل 2002 والقانون رقم 08-19 المؤرخ في 15 نوفمبر